من الله تعالى وملازمة الطلب بما سبق عليه من الشقوة والطمع هو تصديق الظن ولذلك وصف الله تعالى به عدوه في قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه والظن ضد اليقين ولا يغني من الحق شيئا وقال في وصف المشركين ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين فمن صبر عن الطمع في الخلق اخرجه الصبر الى الورع ومن صبر على الورع في الدنيا ادخله الصبر في الاخرة ومن طمع في تصديق الظن الكاذب ادخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا اخرجه جهلها من حقيقة الدين وقد قال بعض العلماء ما كنا نعد ايمان من لم يؤذ فيحتمل الاذى ويصبر عليه ايمانا وقد جعل الله تعالى ذلك بالمؤمنين اختبارا واخبر ان ذلك ليس فيه عذاب وانما هو فتنة لمن اراده فتنة وبلاء من الناس فجازاه لهم فتنة عليهم وابتلاء لهم وصار رحمة للموقنين وجعل في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله يعني الناس به كعذاب الله تعالى له اي في تيسره له عذابا فهي المذموم رحمة باطنة وهو كقوله تعالى واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا اي لم اهنه بالفقر كما لم اكرمه بالاكرام والتنعيم وعلى معنى هذا الخطاب تنبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي اوتيه فقال تعالى واصبر على ما يقولون والاخير عبر تأكيد ... به وفضله عليه وقد ورد في الخبر يؤتى بأشكر اهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يا رب فيقول الله تبارك وتعالى كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن كذلك لك الاجر عليه فيعطى اضعاف جزاء الشاكرين وكتب ابن ابي نجيح الى بعض الخلفاء فقال في كتابه ان احق من عرف حق الله تعالى فيما اخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما ابقى واعلم ان الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيه واعلم ان اجر الصابرين فيما يصابون به اعظم من النعمة عليهم فيما يعافون فيه وفي الحديث ما من عبد الا يعطى اجره بحساب الا الصابرين فانهم يجازفون مجازفة بغير ميزان ولا حد وجاء في الاثر ان ابواب الجنة مصراعان فلا يدخلها زحام كثير الا باب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون اهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وقد قال الله تعالى في جزاء المخلصين اولئك لهم رزق معلوم وقال في جزاء الصابرين انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فقيل في التفسير يغرف لهم غرفا والمعنى في ذلك ان الصبر اشق شيء على النفس واكره وارد على الطبع واصعبه فيه الحلم والكظم وعنه الذل والحلم ومنه التواضع والكرم وفي الادب وحسن الخلق وبه يكون كف الاذى عن الخلق واحتمال الاذى من الخلق وذلك من عزائم الامور التي تضيق فيها الصدور ويبدو لاهل النفوس وحملها على الشدة

والبوس

والبوس وقد جاء افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس ولاجل ذلك اشترط الله تعالى على المتقين والصالحين الصبر في السراء والضراء والمكاره وعقد بالصبر صدقهم وتقواهم والحمد بدوام وصفهم واعمالهم فقال والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فمعنى الصبر حبس النفس عن السعي في هواها وحبسها ايضا على مجاهدتها لمرضاة مولاها فمثل ما توجب المجاهدة يعلو قدر ما يبتلى به العبد لان المجاهدة على قدر البلاء والحبس على محو الشرور وحبسها على الدوام وعلى الطاعة وصبرها عن شهوة الطمع الذي يظهر سوء الادب فمن يدي الله تعالى وصبرها على حسن الادب في المعاملة لم ينزع الصبر الى المعاملة شيء من الصبر عن تلاوة الاهواء والصبر على الثبات في خدمة المولى فجميع ذلك ما يوجب المجاهدة ضرب الهم عنه وتطهير القلب منه من خطرات الهوى ونزغات الاعداء وتزيين الدنيا ومن الاعمال ما يوجب الصبر للجوارح عنها وحبس النفس عن المشي فيها ومن الصبر حبس النفس على الحق وعكوفها عليه بمعاملة اللسان والقلب والجسم وبذلك وصف الله تعالى المؤمنين الذين يعملون الصالحات واشترط لصلاح اعمالهم الصبر واخبر ان الناس كلهم في خسران الا من كان من اهل الحق والصبر وعظم الصبر ملازمة باعادة التواصي به ومن الصبر حبس النفس على عبادة الخالق سبحانه وصبرها على القناعة وعلى منع الرازق ومن الصبر كف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين داخل في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الاذى عن الخلق وهو مقام المحسنين يدخل في قوله والاحسان ومن الصبر على الانفاق والعطاء اهل الحقوق حقوقهم الاقرب فالاقرب وهذا مقام المتقين قوله وايتاء ذي القربى ومنه الصبر عن الفحشاء وهو اللازم للعاملين في العلم والايمان والصبر عن المنكر وهو ما انكره العلماء والصبر عن البغي وهو التطاول والعلو لمجاوزة الحد بالكبر والاحسان في امور الدنيا فهذه الاية كلها جامعة لمعنى الصبر وهي قطب القرآن ان تلك منها وهو الاول الصبر على العدل والاحسان والعطاء وثلاث منها الصبر على الفحشاء والمنكر والبغي

وكان ابن مسعود يقول

هذه الاية اجمع اية في كتاب الله عز وجل للامر والنهي وقال الله عز وجل نعم اجر العاملين الذين صبروا فجمعها نعم اجرهم حتى وصفهم بالصبر وما اكرم رزقهم ووصفهم حتى مدحهم بالصبر والصبر يحتاج اليه قبل العمل ومعه وبعده فيحتاج في اول العمل الى تصحيح النية وعزم العقود والوفاء لانه في الاعمال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقال سبحانه وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وحقيقة النية الاخلاص لان الله تعالى قدم الصبر على العمل فقال الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير والصبر الثاني في العمل حتى يتمه